جامعة :الشهيد حمه لخضر - الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع بالتنسيق مع قسم علم الاجتماع وعلم النفس وعلوم التربية

فرقة الصحة و البيئة والتنمية المستدامة

المؤتمر الدولي التكويني لطلبة دكتوراه العلوم الاجتماعية 23/22 فيفري 2022

مداخلة المؤتمر الدولي النظرية الاجتماعية الممارسات التطبيقية والأفاق

عنوان المداخلة : النظرية الاجتماعية ومعوقات تطبيقها من اجل مقاربة ابستيمولوجية .

المحور الثالث : قراءة نقدية في النظرية الاجتماعية ومعوقات تطبيقها.

استمارة مشاركة

الاسم : ليلى اللقب : لطرش

الجامعة : باجي مختار -عنابة البلد : الجزائر

البريد الالكتروني : latreche_leila@yahoo.r

اسم المشرف : سليماني صبرينة الرتبة: أستاذ محاضر .ا

المحور الثالث **:** قراءة نقدية في النظرية الاجتماعية ومعوقات تطبيقها.

عنوان المداخلة : النظرية الاجتماعية ومعوقات تطبيقها من اجل مقاربة ابستيمولوجية **.**

الملخص :

أن تطور الفكر السوسيولوجي ارتبط بمتغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية خاصة في أوروبا وفي هذا السياق تطور مفهوم النظرية الاجتماعية من مجموع افتراضات أو عبارات علائقية إلى أشكال رياضية تتكون من مقدمات ومعادلات، إلا أن صياغتها اصطدمت إلى اليوم بصعوبات على المستوى المفهمي والتطبيقي لتعقد فهمها وتقعيدها (تجسيدها) في الحق السوسيولوجي المليء بالمشكلات المعقدة في بنيتها و مؤثراتها ،وقد أصبح للنظرية الاجتماعية عدة ادوار في تفسير الظواهر والسلوكات البشرية وتأويل ما يمكن اكتشافه وملاحظته ووصف الأشياء والأحداث كما في الواقع ،إذ أصبحت تقدم معارف معينة في المجال الاجتماعي وتجسد خبرات المنظرين واهتماماتهم وتحث روح التأمل وفهم الواقع واقتراح فرضيات لما قد يكون عليه الواقع ،بل أصبحت تسعى لاكتساب المرونة النظرية أي إمكانية استخدامها في النقاشات العقلانية وهذا ما يضفي دورا جديدا لها وهو إمكانية تطبيقها في حل الصراعات والمشكلات الاجتماعية.

إلا أن عملية بنائها وصياغتها تواجه صعوبة في فهم المفاهيم و كيفية بناء مفاهيم إجرائية للمفاهيم المكونة للنظرية للتمكن من قياس العلاقات بين المتغيرات أي عدم الاكتفاء باكتشاف وجود علاقة بينهما بل قياس هذه العلاقة ، ما أدى إلى افتقار النظرية الاجتماعية للاستنباط ومعرفة تأثير مختلف العوامل المتدخلة أو المؤثرة في الظاهرة أي الاكتفاء بوصف العلاقة دون تفسيرها.

وهذا ما شكل صعوبة في تطبيق النظرية الاجتماعية في البحوث الاجتماعية لصعوبة فهمها وصعوبة التفسير دون تأثر الباحث بالجانب ألقيمي وارتباطاته الأخلاقية وانتماءاته السياسية مما يؤثر على موضوعية النظرية في حد ذاتها.لهذا و بهدف تبسيط توظيف النظرية قدمنا هذه الورقة البحثية لتحديد مختلف صعوبات تطبيق النظرية الاجتماعية في البحوث الاجتماعية وتذليلها أما الطالب والباحث والتمكن من بذل جهود اكبر في فهم وتوظيف النظرية بشكل صحيح ينعكس على نتائج البحث السوسيولوجي و يساهم في بلوغ درجة من التوافق والملاءمة بين الموضوع ومنهج الدراسة والنظريات المستخدمة في البحث.

الكلمات المفتاحية : النظرية الاجتماعية ،تطبيق النظرية ،البحث السوسيولوجي .

Summary :

The development of sociological thought was linked to economic, social and political variables, especially in Europe. In this context, the concept of social theory has developed from a set of relational assumptions or phrases to mathematical forms consisting of premises and equations. However, its formulation collides with difficulties at the conceptual and applied level, due to the complexity of its understanding and its personification. In the sociological right, which is full of complex problems in its structure and effects.

Social theory has played several roles in explaining human phenomena and behaviors, interpreting what can be discovered and observed, and describing things and events as they are in reality. It is seeking to gain theoretical flexibility, that is, the

possibility of using it in rational discussions, and this gives it a new role, which is the possibility of applying it in solving conflicts and social problems.
However, the process of its construction and formulation faces difficulty in understanding the concepts and how to build procedural concepts for the concepts that make up the theory in order to be able to measure the relationships between the variables, i.e. not only discovering the existence of a relationship between them, but rather measuring this relationship, which led to the social theory's lack of deduction and knowledge of the impact of the various intervening or influencing factors In any phenomenon, it is sufficient to describe the relationship without explaining it.This is what constituted a difficulty in applying social theory in social research due to the difficulty of understanding it and the difficulty of interpretation without the researcher being affected by the ethical aspect, his moral connections and his political affiliations, which affects the objectivity of the theory in itself. Therefore, and in order to simplify the application of the theory, we presented this research work to determine what are the difficulties of applying social theory in social research With the aim of overcoming it, as for the student and researcher, and being able to make greater efforts in understanding and using the theory correctly. It is reflected in the results of sociological research and contributes to achieving a degree of compatibility and relevance between the subject, the study curriculum, and the theories used in the research.

Keywords: social theory, theory application, sociological research

تقديم :

من خلال تتبع سيق تطور الفكر الاجتماعي لدى المفكرون في المجتمعات الأوروبية و الأمريكية منذ القرن التاسع عشر يتبين كيف تبلور علم الاجتماع و أصبح علم قائم بذاته .

بعد تطور الاستدلال التحليلي عند مفكرين مثل " **روني ديكارت"** والاستدلال الأكثر براغماتية عند **"ميكيافيلي"** أحدثت قطيعة تأكدت في عصر التنوير بظهور العقل والمسؤولية الفردية (1) وتجعل الثورة الفرنسية من هذه المفاهيم الجديدة مبادئ تترسخ في المؤسسات والذهنيات (2).

لقد تأسست المعرفة السوسيولوجية كميدان مستقل في القرن التاسع عشر و أصبحت تنشد تحديد الموضوع والمقاربة العلمية الخاصة بها ،وبالنظر إلى التغيرات والتقلبات التي عرفتها أوربا في ذالك العصر و التطور الصناعي وزيادة و اتساع المدن نجد تغير كبير في أنماط الحياة و هذا ما أصبح يهدد استمرارية المجتمع الريفي والنظام الإقطاعي (3) ،أما علوم الطبيعة فقد تطورت بشكل ملحوظ لكنها لم تتمكن من تطوير التكنولوجيا و أصبح البحث يعتمد على القوانين الكونية والقياس والملاحظة التجريب مكان التأويلات الدينية والتخمينات ، وفي الدول الانجلو ساكسيونية ظهرت النظريات التطورية خاصة " تشالز داروين" وقد واجهت اتجاهات دينية وقوبلت بما يؤكدها في فرنسا أو ما يسمى ب" الوضعية" .

أما ألمانيا ما بعد " **كانط** " وما بعد " **هيجل** " تزايدت المناقشات حول التاريخية والقضايا الإبستمولوجية التي تثيرها مواجهة المناهج التاريخية.

إن مواضيع الصناعة والثقافة الحضرية ، المواطنة السياسية و الوطنية أصبحت مواضيع مفتوحة لكنها بقت أكثر تجريدا و احتمالية خلافا لدائرة المجتمعات الريفية التقليدية وأصبحت مواضيع العلم والتاريخ والتطور أكثر قبولا وتمييزا لتقدم المجتمعات وهنا شرع الكثير من المفكرون في طرح مقارباتهم حسب تخصصاتهم .

و قد أصبح للجانب الاقتصادي والاجتماعي ضرورة الاستناد إلى العلم وأصبح جلي تأكيد ما هو اجتماعي وارتكز العديد من المؤلفين على العلوم البيولوجية كمرجع خاصة " **هاربرت سبنسر"** في انجلترا الذي طبق مفاهيم التطورية في تحليل المجتمعات فيما نجد " **سان سيمون"** و" **أوجست كونت"** الذي وضع مصطلح علم الاجتماع في فرنسا ، كما برز " **ا. دوركيام** " كمؤسس لعلم قائم بذاته يعالج الواقع الاجتماعي ومواضيعه بمنهج مكيف ، أما " **غابريال تارد** " فقد وجد في العلوم الفيزيائية التشابهات التي مكنته من التفكير في الواقع الاجتماعي المصغر.

أما " **دوتوكفيل"** فقد مزج بين المقارنة التاريخية و التأويل الانثروبولوجي إلا أن علم الاجتماع يستمد جذور تفكيره الابستمولوجي من خلال مقارنة خصوصيته كعلم إنساني و اجتماعي و تاريخي من الفكر الألماني المعاصر الذي كانت تغذيه الناقشات بين **"كارل ماركس"** و" **ماكس فيبر"** .

إلا أن الاعتراف بعلم الاجتماع كعلم يدرس في الجامعات كان في القرن العشرين و أصبح يساهم بقوة في تكوين هوية المهنيين .

و قد مر هذا الاعتراف بتطور العلوم الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وطابعها الثقافي حيث في العشرينات في جامعة شيكاغو حدد علم الاجتماع الأمريكي اتجاهاته وهي :

- أولوية البحث الميداني دون الرجوع إلى فكرة شاملة للمجتمع ،أما دروس **" ج.د ميد"** فقد أرست في قواعد تيار فكري جديد هو " التفاعلية الرمزية" هذا التيار بعد أن تغذى من المواجهة مع الانثروبولوجيا الثقافية أصبح محل مساءلة من طرف نظرية **" تالكوت بارسنز"** والمدرسة الوظيفية.

إلا أن علم الاجتماع الأمريكي بتفتحه على الإصلاح والبراغماتية يبقى متمسكا بالبحث الميداني والتفسير و الاختبار التجريبي و في الخمسينات نجد هذا الاتجاه منفذا إلى فرنسا في إطار إعادة البناء و التحديث لما بعد الحرب لعالمية الثانية و الديغولية و يقع مزاج على الطريقة الفرنسية بين الإسهامات النظرية للمؤسسين الأوروبيين للقرن التاسع عشر والمفاهيم الأمريكية ليمنح فيما بعد كل من **" بيار بورديو "** و**" الآن ثوران "** طابع خاصا لعلم الاجتماع أواخر القرن .

1- تعريف النظرية السوسيولجية :

هي نماذج للواقع الاجتماعي لكنها قد لا تكون صورة كاملة و كلية معبرة عن الواقع الاجتماعي ،أما المعرفة فهي عبارة عن مجموعة من القوانين الصحيحة التي تصف هذه الصورة ، فالنظريات تقترب من المعرفة ولكنها ليست تماما .

النظرية هي مجموعة أجزاء أي مفاهيم نظرية منعزلة لبناء صورة هذه الأجزاء نحاول تكييفها لتصبح نظرية ،أي عملية تركيب لمفاهيم منعزلة تصبح أو تشكل نظرية (khun ,1962).

إذن النظريات هي التركيبات الكبرى للمشكلات المجزاة ، فهي تقديرات لما يكون عليه أي جزء من أجزاء الصورة و النظريات هي تقديرات للمعرفة التي تمثل بدورها الصورة الكبرى النهائية .

أما النظريات فهي تتناول أجزاء من هذه الصورة و كل نظرية تشكل مجموعة من المكونات وتجميع هذه المكونات من خلال النظريات المختلفة يكون المعرفة.

حسب قانون التفاضل الكامل : المعرفة هي حد (limit) تتحرك نحوه النظريات و النظريات تقترب من بعضها أكثر لكنها لا تقترب من هذا الحد.

و هي مجموعة من القضايا أو المفترضات أو العبارات العلائقية (4) ،و يجب أن تحتوي ليس فقط على المفاهيم أو القضايا بل يجب أن تحتوي على تعريفات إجرائية وترابطات نظرية وإجرائية تنظم في صورة مقدمات ومعادلات(5).

ما يلاحظ أن النظريات كلما اقتربت من بعضها كلما ازداد مجالها وتركيزها كلما زادت الدقة في التنبؤ

فإذا فسرت النظرية **(ا)** و نظرية **(ب)** بنفس السلوك فإننا سوف نقبل النظرية **(ب)** على أنها الأحسن لان مجالها أحسن و قدرتها على التنبؤ أدق.

و لأنها تعتبر تقريب تقديري جيد للمعرفة و هذه المعايير تؤدي إلى دقة التفسير وقد تحل نظرية محل نظرية أخرى .

و كل النظريات الجيدة هي التي تقدم التنبؤات و التفسيرات و التركيز والمجال.

و هناك طريقة من طرق التفكير في دقة التنبؤ هي أن التنبؤ مقياس يقينا من الحد وعموما نحن لا نعف الحد النهائي للمعرفة و ل يمكننا منع كل الأخطاء لمجرد أننا لا نملك كل الحقائق و لكن يمكن أن نبدأ بمحاولة تنبؤ فيه دقة لكن فيه قليل من التأكيد، والنظرية الممتازة هي التي تقدم تنبؤ دقيق ومفسر.

في علم الاجتماع يمكننا تقديم تنبؤات معقولة عن التجمعات الاجتماعية كالتالي :

مثال : تستمر التجمعات الاجتماعية في عمل نفس الأشياء التي تعملها دائما و هذه عبارة لها كل عوامل القوة و كل عوامل الضعف، و لكنها تقريب أولي للمعرفة حيث أنها تسمح لنا بتقديم بعض التنبؤات و للوصول إلى الدقة علينا بناء نظريات أكثر وإضافة متغيرات أكثر وتحسين القياس وتطوير علاقات معقدة أكثر.

إذن النظرية الجيدة هي التي تقدم تقديرات أحسن للمعضلات الاجتماعية .

السؤال المطروح هو : هل لعلم الاجتماع نظريات تقريبية للمعرفة ؟

في علم الاجتماع ليس لدينا معادلات نعبر عنها ببرهان أو دليل امبريقي مثل القوة = الكتلة×السرعة لكن هذا لا يعني أننا لا نملك معرفة سوسيولوجية (6) ،فالمعرفة لها درجات حيث أن بعض العلوم تملك الكثير من المعرف و البعض الأخر لا ، مثلا علم الطبيعة و الكيمياء لهم معارف علمية أكثر مما لدى علم النفس وعلم الاقتصاد فتراكم المعرفة ينمو مع مرور السنوات على نشأة هذا العلم (المجال) .

أما علم الاجتماع فهو علم حديث نسبيا والمعرفة المتوافرة فيه غير ناجحة نسبيا.

2- أجزاء النظرية :

تتكون النظرية من:

*- المفهوم (concepts)

*- الجمل اللفظية العلاقية(phrases verbales)

* التعريفات النظرية والتعريفات الإجرائية (défuntions théoriques et définitions opérationnelles)

*- الترابطات النظرية والترابطات الإجرائية (liens théoriques et liens opérationnels)

*- التنظيم في شكل مصطلحات أولية ومشتقة (ordre de concepts primaires et concepts dérivés)

*- التنظيم في شكل مقدمات ومعادلات (ordres des' introductions et équations).

3- إسهامات النظرية :

*- الوصف و التصنيف

*- التحليل

*- المعنى

*- القياس

*- المعقولية

*- القابلية للاختبار

*- التخلص من الحشو

*- القضاء على عدم الترابط المنطقي

4- تعريف بناء النظرية :

هي عملية مستمرة لا تنهي أبدا حيث النظرية لا تبقى دوما صحيحة كلية أو خاطئة كلية لذلك نحن نحاول باستمرار تحسين أوضاع النظرية من خلال تحسين إسهامات كل عنصر من عناصر بنائها وتحسين خواص و معايير تقويم هذه النظرية ،و يجب أن نبحث فيما وراء القضايا والنظريات الواسعة المركزة للوصول إلى دقة أكثر في تنبؤاتها و بالتالي دقة أكثر في تفسيراتنا.

مشكلتنا في علم الاجتماع أننا نتحدث على مستويات نظرية صغيرة و عن غزارة المفاهيم النظرية وهذا نتيجة للجهود المبذولة للاقتراب من المعرفة العلمية المطلوبة ليست دقيقة تماما وتتجه لذلك فان الجهود في هذا المجال محدود للغاية.

أننا في حاجة إلى تقديم تعليمات أكثر لبناء النظرية تهدف لبناء تركيبات نظرية كبيرة يعني أننا نحتاج لتجميع نظريات العلمية مع نظريات البناء.

كما أننا في حاجة إلى أن نمزج أفكار **ماركس** بأفكار **دوركايم.**

كما يجب أن نستكشف الرابطة بين تحليل النظام الموحد مع تحليل القيم .

نحن نريد معرفة ما يحدث على سبيل المثال عندما يمزج الفرد نظرية الدور مع نظرية التوازن لأنه كلما حدث مثل هذه الترابطات السابقة كلما استطاعت النظرية الاجتماعية أن تغطي مجالا جيدا وتحقق تركيزا معقولا و دقة محتملة في التنبؤ وتفسير عالي .

5- صعوبات صياغة النظريات الاجتماعية :

حسب **(محمد 1984)** عن **" هومانز"** هناك مجموعة من العوامل التي تعيق صياغة النظريات الاجتماعية وهي :

1- تتميز أغلبية العبارات العلائقية بطولها النسبي وتعقيدها رغم إغفال المختصين العديد من الخطوات اللازمة لصياغتها كون أن هذه الخطوات مسلمات قبلية وعرضها في النسق النظري يتعب القارئ وقد يؤدي إلى تضليله (7) .

2- كما أن صياغة النظريات بالغة العادية في كثير من الأحيان أدى إلى طمس معالم النسق الاستنباطي و كان من الممكن تفادي هذا لو عرضت بصيغة رياضية.

3- عدم القدرة على فهم وإدراك المعنى الحقيقي الدقيق لمفهوم النظرية من طرف علماء الاجتماع و يعتبر **" بارسونز"** مثال واضح لهذا الموقف حتى أصبح اغلب ما نطلق عليه مصطلح **" النظرية السوسيولوجية"** يتكون في الواقع من مجموعة من المفاهيم والتعريفات على نحو مماثل لقاموس اللغة الذي يخلو تماما من القضايا أو العبارات العلائقية وهذا موقف يمثله **" تالكوت بارسونز"** اصدق تمثيل.

إن النظرية السوسيولوجية عندما تحاول الكشف عن الظواهر أو تفسيرها لا تقوم بهذا بشكل صحيح فهي تشير فقط إلى وجود علاقة قائمة ،و لكن حينما نقول أن **(ا)** هي وظيفة **(ب)** و نقف عند هذا الحد أي دون تحديد الوظيفة فان هذا الارتباط لا يسمح بإتمام عملية استنتاج أو استنباط القضايا.

وهذا ما نلاحظه على النموذج المثالي الذي استخدمه **" تاكولت بارسونز"** في عرض الاحتمالية الثنائية للسلوك الاجتماعي.

وهنا تتضح صعوبة الإطار التصوري و تصبح النظرية في نهاية التحليل مجموعة من القضايا التي استخدمها **" بارسونز".**

عموما فهذه محاولات في نطاق العمل النظري وعمل وصفي في المقام الأول لا يرقى إلى مستوى النظرية ، كما توجد مشكلة أخرى لها علاقة بالقضايا السوسيولوجية خاصة تلك التي يتوقف صدقها على ثبات مجموعة من العوامل ذالك أننا عادة ما نجهل تلك العوامل بل و نجهل السبب الذي يدعونا للاحتفاظ بها ثابتة.

6- معوقات تطور النظرية الاجتماعية في علم الاجتماع :

إن اهتمامات المجتمعات بصفة عامة كانت تنصب على البيئة الطبيعية لكي يستطيع الإنسان أن يحافظ على بقائه، وأن يتغلب على العوامل التي تهدد هذا البقاء، وبالتالي فإن اهتمام الإنسان أنصب أولاً على دراسة البيئة الطبيعية، ولذلك تطورت العلوم الفيزيقية قبل تطور العلوم الاجتماعية، أن الحاجات الفعلية والمادية والمباشرة للمجتمعات الإنسانية أدت إلى أن تولي هذه المجتمعات اهتماماتها إلى السيطرة على البيئة الطبيعية أولاً .وقد ظهرت العلوم الاجتماعية تباعاً واستقلت عن الفلسفة منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولكنها في رأي الكثيرين، ظهرت منذ البداية كعلوم زائفة ليست مهمتها الحقيقية كشف الحقائق الاجتماعية، والوصول إلى فهم علمي لها بقدر ما كانت مهمتها إخفاء هذه الحقائق أو تشويهها لسبب بسيط هو، أن الرأسمالية الناشئة كانت ترى من مصلحتها كشف الحقائق فيما يتعلق بالكون المادي لاستغلالها في الإنتاج الرأسمالي وتطويره، ولكن لم يكن من مصلحتها كشف الحقائق الاجتماعية لأن من شأن ذلك أن يكشف أيضاً عن استغلالها للطبقات العاملة، ذلك الاستغلال البشع الذي صورة الكثير من الأدباء والمفكرين في ذلك الوقت .فهناك علم الاجتماع الراديكالي وعلم النفس الراديكالي، وعلم الإجرام الراديكالي، ومثلما هاجمت العلوم الفيزيقية والبيولوجية الراديكالية في القرون الماضية الفكر الخرافي الذي كان يسود هذه العلوم ودعت إلى تغيير جذري فيه بناء على ما توفر لها من معلومات وحقائق عن الكون المادي، تدعو هذه العلوم الاجتماعية الراديكالية إلى إحداث تغيير جذري في مضمون ومسلمات العلوم الاجتماعية بل وإحداث تغيرات جذرية في بناء المجتمع بأسره .وتلقي هذه التيارات العلمية الجديدة مقاومة شديدة من جانب الرأسمالية ومن جانب العلماء الذين يدافعون عنها، ولكن هذه المقاومة وذلك الاضطهاد الذين يتعرضون له يختلفان في أساليبهما عما كان سائداً في عصور ما قبل النهضة ويتخذ أشكالاً مختلفة منها استخدام المؤسسات العلمية ذاتها كوسيلة للضغط والإرهاب .ونحن نعلم أن الباحث العلمي يحتاج لمصادر لتمويل بحوثه، وهذه المصادر أما تكون الحكومات أو المؤسسات الاقتصادية والصناعية التي تملك المال في المجتمعات الرأسمالية، وموقف الحكومات والمؤسسات في هذه البلدان موقف معروف ومحدد، فهي تقوم بتمويل البحوث العلمية وتشجيع العلماء الذين تؤدي جهودهم إلى فائدة سريعة ومباشرة لها، وعملية تمويل العلم أصبحت في العصر الحديث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستثمار، بحيث نجد الآن في معظم البلدان الصناعية أقساماً للأبحاث العلمية داخل الشركات الكبيرة والمصانع تستخدم العلماء وتتفق عليهم **(8)** .

7- صعوبات تطبيق النظرية الاجتماعية :

بعد عصر التنوير أصبحت مهمة علم الاجتماع هي الكشف عن القوانين الحاكمة للحياة الاجتماعية بطريقة وصفية للاستفادة منها والتأقلم معها وليس بهدف تغييرها لان تغيرها دون جدوى.

وكما لاحظنا في القرن التسع عشر حافل بانجازات العديد من علم الاجتماع الذين ساهموا بوضوح في بناء علم الاجتماع ، و بتقدم الصناعة ونمو المدن و برز الطبقة العاملة وظهور نظريات علمية ساهمت في التوجهات النظرية في علم الاجتماع مثل نظرية (**تشالز داروين** 1809-1882) سنة 1859 التي أدت إلى نشوء مدرسة علم الاجتماع سميت ب : **"الداروينية الاجتماعية "** بل أن نظرتها العضوية و التطورية أثرت في كل نظريات تلك الفترة التي سادتها فضلا عن ذالك النزعة التفاعلية المفرطة بالتقدم الإنساني (9).

ويمكن الإشارة إلى هؤلاء العلماء في أوربا حيث نجد :

هربرت سبنسر (1820-1903) في بريطانيا ، **فيرنر زومبات** (1863-1941)، **جورج زيمل**(1858-1918)، **فيرديناند تونيز**(1855-1936) في ألمانيا ، **فالفريد باريتو**(1848-1923) في ايطاليا، وليام **جراهم سمنر**(1940-1910)، **فرانك ستوارد**(1841-1913) في الولايات المتحدة الأمريكية (10) .

و مهما قيل عن مساهمات علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر و مدى تأثيرهم في تطور المجتمع ، فان ثلاثة منهم من تزعموا هذا الدور وهم (ماركس، دوركايم ،ماكس فيبر) (11) ، حسب كتاب **أنتوني قيدنز** (نظرية التشكيل) في كتابه (الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة)، حيث نجد كتابات **كارل ماركس** (1818-1883) تمثل نقدا وتحليلا للمراحل الأولى للرأسمالية وكتابات **أيميل دوركيم** الفرنسي (1858-1917) وكتابات ماركس فيبر الألماني (1864-1920) تمثل إعادة تأويل لأطروحات الليبرالية السياسية في إطار ضغوط تنبعث من الحركة الرومانسية المحافظة والمغالية قوميا ومن الحركة الثورية الاشتراكية من جهة أخرى (12) .

إذن كان لهؤلاء الثلاثة أصولا لجميع المدارس و النظريات في علم الاجتماع تقريبا ، و إذا كان **"دوركيام"** واضحا في رؤيته للمجتمع بصفته مصدر لتشكيل الفرد و قولبته كيفما شاء ضمن أطره الثقافية (النظرية الجبرية) ، فأصبحت مهمة علم الاجتماع هي دراسة العلاقات الاجتماعية و تفسيرها ،وإذا كان الفرد هو ركيزة الحياة الاجتماعية عند (فيبر) يشكل المجتمع بإرادته الواعية (النظرية الطوعية) و هنا أصبحت وظيفة علم الاجتماع هي دراسة فعل الإنسان وتأويل بواعثه وفهم أهدافه ومقاصده .

لكن الصورة أكثر غموضا عند (ماركس) حيث تتأرجح بين نظرتين هما:

نظرة ماركس الشاب الذي يركز على دور الفرد و نشاطه في العملية التاريخية والاجتماعية ونظرة ماركس الشيخ الذي يرى أن المجتمع خاضع في حركته لقوانين تشبه قوانين الطبيعة لا حول الإنسان بتغييرها فهي قدر محتوم و" الحركة" هي " معرفة الضرورة " .

إذن هذه النظرية الثنائية المتراوحة بين الجبرية و الطوعية جعلت احد علماء الاجتماع التقدميين وهو : **(الفن جولدنر)** يشير إلى وجود ماركسيتين أحداهما " علمية" والأخرى نقدية " (13) .

وقد نشبت خلافات حولهما وهي أن الماركسية الحقة التي كانت سببا في ظهور مدارس نظرية مستقلة، أما ما حصل من تطور في علم الاجتماع في القرن العشرين بعد الحب العالمية الثانية وظهور " دولة الرفاه" في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ونشوب الحرب الباردة ثم سقوط الأنظمة الاشتراكية الشمولية وتأثير كل هذه التطورات الاجتماعية و السياسية في تشكيل النظرية الاجتماعية .

8- عيوب النظرية الاجتماعية :

إن جل النظريات الاجتماعية الحديثة صعبة الفهم ولا يشعر القارئ انه تعلم منها شيئا جديدا لماذا ؟

لان النظرية في حد ذاتها تحتاج إلى متخصصين لبنائها وشرحها و متخصصين لفهمها بهدف استخدامها في الموقع المناسب لها .

وبوجود مشكلات وقضايا حقيقية في المجتمع نحتاج إلى النظرية لشرح وتفسير هذه المشكلات بهدف فهم ما يجري حولنا أو تأسيس اختياراتنا الأخلاقية والسياسية ، إذن لابد من استيعاب صحيح وحقيقي للنظرية و لكيفية استخدامها .

حتى تعليم النظرية الاجتماعية في المقاييس الاجتماعية يتسم بالصعوبة نوعا ما لان علم الاجتماع بطبيعته لا يسمح بالانتقال من دراسات علمية مليئة بالمعلومات والمعارف حول الحياة الاجتماعية إلى النظرية الاجتماعية مباشرة .

فالنظرية الاجتماعية بطبيعتها عامة ، إذ لا يمكن أن تنتقل من دراسة اتجاهات العمال مثلا إلي نظرية معينة ، لان لكل نظرية قيمة علمية يجب أن تعالج مسائل أكثر بكثير من اتجاهات العمال ، إذ علينا أن نجمع النمطين معا و نستخدم دراستنا للواقع أولا ونستخدم النظرية التي تساعدنا على فهم ذالك الواقع والنتائج.

وهناك عوامل أخرى تزيد من صعوبة استخدام النظرية مثلا ثقافتنا ليست ثقافة تتقبل النظرية بكل تفاصيلها المتشعبة (*) وأغلبية المتعلمين للنظرية الاجتماعية لا يثقون فيها أو بالأحرى لا يقتنعون بها لان النظرية الاجتماعية تخلق حساسيتها .

و لان الكثير منا لا يعلم إلا القليل عن العلوم الطبيعية و مع ذلك نعتبر علم الطبيعة النظري علم جيد ، إذ لابد لهذا العلم نتائج عملية في المقابل تبدو النظرية الاجتماعية و كان ليس لها نتائج علمية والأسوء أنها تعالج موضوعات نعرفها معرفة وثيقة في حياتنا الاجتماعية و تحولها إلى هراء أو شكل غير مفهوم.

كما أن دراسة النظرية الاجتماعية وتدريسها في حد ذاته يتم في جو يلفه الغموض وهذا ما ينتج بيئة غير ملائمة للدراسة فمثلا لا يكون أستاذ النظرية الذي تشغل جل اهتماماته يكون محل تقدير لكن أمامه صعوبات عدة .

كما أن في الأقسام العلمية التي تركز على الأبحاث التجريبية والميدانية تكتسب الشهرة ويعتبر المنظر فيها شيئا زائدا على الحاجة ويشكل عبئا على زملائه الباحثين ، لذلك فالمنظر في النهاية يصبح في منزلة أدنى بين زملائه ليس في أعلاها وهذا في الترتيب الغير رسمي .

كما أن العديد من المنظرين ينتابهم شعور بضرورة التحصن بالكبرياء ويفضون التراجع عن انشغالاتهم العلمية و يبالغون في غموضهم ، و هذا ما يحدث خاصة على مستوى طلاب الدراسات العليا ، وهذا ما يؤدي إلى تعميق الفجوة بين المدرس والطالب .

أما على مستوى الطلاب فان الطالب الذي يتميز بفهم النظرية والانشغال بها يكتسب قدرة مميزة له ، وهي انه يرى نفسه الأذكى والأقدر على استيعابها مقارنة مع زملائه.

وكثير من الطلبة والأساتذة من يتباهون بهذه الصفة قصدا كتعبير عن التميز فيتسابقون لاستخدام الترجمات الأوروبية خاصة.

وجل هذه الصعوبات تواجه الفعل التنظيري والمنظرين و الباحثين والطلبة في البداية يلجئون لاستخدام النظرية أو تطبيقها لأنه لا خيار لديهم أو بديل لها في البحث العلمي فيدرسونها مكرهين.

إذن كيف يمكن التعامل مع النظرية في هذه الحالة ؟

ليس من المفيد التظاهر بقدرتنا على جعل النظرية سهلة غير انه يمكن جعلها أسهل أكثر ، حيث أن الخطوة الأولى لتسهيل النظرية على الفهم هي إعادة النظر بالطريقة التي تعالج بها الموضوع ، إذ من السهل تعلم ما جاء به المنظر وإعادة صياغة ما قاله المنظر بشكل مقبول في مقالات أو في الامتحانات.

لكن الفائدة الحقيقة هي التعلم من النظرية و كيفية استخدامها في البحث و في الحياة ، أي لابد من فهم النظرية انطلاقا من تعلم التفكير النظري قبل تعلم النظريات مثال : تعلم لغة جديدة بطريقة صحيحة ، أي ليس بطريقة تحصيل الكلمات تدريجيا و تعلم قواعد النحو وإنما من خلال سماع اللغة و هي تتداول لدى الأفواه بكل تعقيداتها و لهجاتها ، تصبح كحال الفرد في مجتمع غريب عنه ،حيث يضطر إلى تعلم لغة الأهالي عن طريق سماعها فقط .

وعملية التعلم هنا تكون سهلة ولكن ستكون أسهل لو كان الشخص يعرف تفكير الأهالي ومقاصدهم .

فالمشكلات التي تدفع البشر إلى النظرية هي مشكلات نواجهها في حياتنا اليومية وهذا يشير أما لأننا جميعنا نفكر نظريا بطريقة منظمة ودقيقة رغم صعوبات التفكير المنظم والدقيق في المشكلات التي تواجهنا في البداية.

إذن ما هي المشكلات التي نستجيب لها بالتفكير نظريا دون أن نعي ذالك ؟

إن معظمنا يتأثر بالأحداث الخارجة عن إرادتنا والتي لا تكون أسبابها واضحة فبعضها تقع فجأة والبعض الأخر يقع تدريجيا لا تثير الانتباه، كان يفقد احد أفراد العائلة عمله ، لذلك نحاول التقليل من هذا الحدث لكن حصوله أمر محتوم وهذا فضلا عن أي سبب وقوعه غير معلوم.

نحاول أن نجد تفسيرا لهذه الحالات وكثيرا ما يلقى اللوم على جهة معينة تكون هي السبب في الحدث ،لكن هذه التفسيرات تبلغ أحيانا درجة أعلى من الحنكة .

إذن عندما نحاول التفكير وتفسير شيء ما نحن لا نملك القدرة على التحكم فيه هنا نكون بدأنا في التفكير النظري ،أما إذا حدث شيء لنا سيطرة عليه يمكننا التحكم فيه فلا يكون هناك داعي للتفسير لان هذا الشيء حدث لأنني لا ارغب أن يقع وبذلت جهدا لكي لا يقع.

إن النظرية هي محاولة تفسير خبراتنا اليومية في الحياة سواء لأفعالنا أو أفعال الآخرين أو خبراتنا السابقة أو عواطفنا المكبوتة .

و لكن أحيانا يتم التفسير على أساس ليس لنا به خبرة مطلقا وهذه أكثر صعوبة ولكن تكون النظرية هنا قدمت لنا شيئا جديدا عن الحياة .

مثال: عجزي عن التحصيل العلمي قد اجدله تفسيرات عدة منها ما هو من تقصير من طرفي أو عوامل كالمحيط الدراسي أو دور الأستاذ.

لكن من خلال فهمي للواقع و اعتمادي على خبرات وأفكار ليس لها علاقة بمشكلتي هنا تتضافر الخبرة مع الفكرة ، و هنا نستخدم النظرية لتفسير خبرة وفهمها على أساس خبرات وأفكار عامة عن الحياة .

إن النظرية لا تحاول أن تكون أكثر تنظيما نظرا للأفكار والخبرات معا وفي علم الاجتماع كثيرا ما يجري التنظيم الفعلي للخبرة بمعزل عن النظرية.

لكن حسب استقراء هذا الموضوع هناك استحالة الوصول إلى الموضوعية الخالصة وتنظيم الوقائع دون ذاتية ، ومهما يكن فمحاولة جمع المعلومات حول خبرات البشر يمكنها إنتاج المعرفة التي تبدو غريبة للوهلة الأولى كما تخضع عملية جمع الأفكار إلى أحكام المنطق.

فالأفكار النظرية لابد أن تتبع ترتيبا منطقيا ولا تتناقض فيما بينها ،كما أن اكتشاف المزيد من المعرف حول العالم بشكل منظم وإقامة انساق النظرية تواجه مشكلة ما هي أفضل الطرق في إقامة الأنساق وهذا لا يرتبط بتفسير خبراتنا ومثال هذا يلخص في السؤال التالي:

متى يكون التفسير الذي نقدمه كافيا ومتى لا يكون كافيا ؟

إذ أن في هذا الواقع هناك ظواهر موجودة ليس لها خبرة فيها و ظواهر أخرى تكون من خبرتنا في الحياة ، و هذا صعب قبوله خاصة في الواقع الاجتماعي ، بينما نقبله في الواقع المادي ، وهذا ما يتطلب الانفتاح الذهني ، إذ لو أننا أمنا فقط بما نراه ماديا ، كيف نؤمن بان الأرض كروية الشكل مثلا .

كل نظرية اجتماعية تطرح فروض قد لا تتفق مع خبراتنا اليومية المباشرة أو اعتقاداتنا وهذه في الواقع هي الطريقة التي نتعلم بها من النظرية .

إذن يمكننا جعل النظرية أسهل و لكن لا يمكننا جعلها سهلة .

مثلا عرض نظريات علم الاجتماع تاريخيا هي ترجع لمشكلات يومية و هذه المشكلات تعرضت للتفكير الفلسفي و المساءلة والنقد و تطور المعرفة ومع ذالك يمكن النظر إلى هده النظريات على أنها تطرح أسئلة معقولة عن الواقع المعاش.

لعل أفضل طريقة لتعلم التفكير النظري لا تكمن في مجرد قراءة النظرية وفهمها بل في طرح التساؤلات النظرية و تشغيل العقل في الإجابات الممكنة .

9- ما هي الأسئلة التي تطرحها النظرية ، وما هي الأسئلة التي يمكن طرحها على النظرية ؟

لابد من طرح سؤال انطلاقا من التأمل أولا ،هل يمكن تفسير ظاهرة معينة انطلاقا من معرفة المنظر لها؟

إن نحن أحسننا استخدام وتطبيق النظرية بشكل سليم فالفائدة ستكون ، حيث تزيد من تأثيرنا ونشاطنا وتكون سندا لنا في مشوارنا وانطلاقاتنا .

إن النظرية الحديثة حقا تعاني من سواد و إبهام وابتذال كبير ، والبحث الاجتماعي تحول إلى مجرد عملية لجمع البيانات ، أو جدل حول العلاقة بين المنهج والعلاقات الإحصائية ، خاصة علم الاجتماع التجريبي (الإمبريقي)، فوظيفة النظرية الأساسية هي تأويل كل ما نستطيع اكتشافه و الاتفاق عليه في الوقائع.

فعلم الاجتماع يبقى مجرد وسيلة مساعدة لعلوم أخرى ،إن لم نقم بمحاولات للوصول إلى الإطار العام .

- إن تعقد موضوع العلوم الاجتماعية واستحالة عزل جوانب مهمة في الحياة الاجتماعية لاختبارها وكون النشاط الإنساني عملية تستند إلى الوعي الذاتي والتأمل ،وهذه العوامل مجتمعة تشبه طريقة حل الألغاز وتشوه الواقع الحقيقي و تختزله في شكل مفاهيم نظرية .

إذ نحن بحاجة لفهم الموقف بكل تعقيداته والعلاقات بين العوامل المؤثرة فيه ونفهم ما تخبرنا به النظرية وبين الوقائع التي نحاول فهمها .

بعض المشكلات مهمة لكن ليس لها حلول وعند توظيف النظرية لفهم هذه المشكلات والمشروع النظري تفقد النظرية قيمتها مثال : في الفلسفة التحليلية البريطانية الخبرات التي يعطيها الشخص لنفسه هي مسببات لأفعاله ، و هنا المسالة لها علاقة بالعلوم الاجتماعية وإمكانية وجودها وفي غياب الحوار تختفي العديد من ملامح الفعل الإنساني ومن الممكن الوصول إلى حلول نتيجة الحوار ،لكن ليس لها نفع في التحليل الاجتماعي لأنها ليست ملموسة ،كما أن محاولة الربط المنطقي بين مختلف أجزاء النظرية والترابط الداخلي قد تواجهها نسبة منطقية العالم ذاته ،أو اختلاف منطقه عن منطق النظرية ،لذلك فالنظرية عليها أن تكون قادرة على الاعتراف بهذا الاختلاف .

- إن الفرق بين التفسير والوصف يكمن في أن التفسير يخبرنا عن شيء لم نكن نعرفه أو لم نكن نقدر على اكتشافه بجرد النظر إليه ،أما الوصف فيخبرنا عن شيء نستطيع اكتشافه بالنظر فقط .

والواقع أن النظرية الحديثة تتميز بأنها تصف الأشياء المعروفة لدينا لكلمات نظرية معينة ،ثم ندعم ذلك بالتفسير وهذا ما ساهم في تشويه اسم النظرية ، مثال : نظرية **" تالكوت بارسونز"** حيث فسر شيء بديهي .

فالنظرية الاجتماعية :

1- كثيرة و متنوعة .

2- متعددة الأبعاد حيث لا يمكن تطور نظرية شاملة تلم الشتات وهذه الأبعاد هي :

1- البعد المعرفي : حيث تمثل النظرية عجلة لبناء المعرفة في علم الاجتماع .

2- البعد لعاطفي : تجسد النظرية خبرات المنظر ومشاعره المتمثلة في الرغبة في المعرفة الصحيحة وهذا ما قد يطغى على أدلة الواقع الموضوعية .

3- البعد التأملي : علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية هما بالضرورة جزء من الحياة و هما طريقة لفهمه ، فلابد لها أن يعكسا ما هو حاصل بالخارج ومما هو حاصل لنا جميعا .

بزيادة التغير في مظاهر الحياة الغربية خاصة و تقسيم العمل و تزايد أنواع المهن ، انعكس هذا على تعدد و تشعب الواقع و تشعب النظرية الاجتماعية وانقساماتها إلى تيارات ومدارس عدة .

4- البعد المعياري : الذي يضخم تأثير البعد الثالث التأملي فالنظرية تقوم بوصف الواقع لابد أن تطرح تصريحا أو تلميحا و افتراضات عما يجب أن يكون عليه شكل ذالك الواقع ،وقد دعا **" الفن جولندر"** إلى هذه الافتراضات " افتراضات المجال ، و بناءا على هذا فالنظرية الاجتماعية تنطوي على نظرة معينة للفعل السياسي وعلى أشكال الفعل الممكنة و المستجدة .

و هذا لا يعني أن النظرية الاجتماعية لا تتكلم فقط على العمليات والصراعات والمشكلات و اعلان الافتراضات هذا ليس سيئا ،بل لابد أن يكون صريحا ويناقش عقلانيا في إطار أكاديمي وهذا ما يكشف جانب مهم وهو " مرونة النظرية" ،فتستخدم النظرية ذاتها دفاعا على وجهات نظر مختلفة بطرق متنوعة وظروف الحياة الاجتماعية والسياسية وتغيراتها يدفع جل النظريات إلى مسالك أخرى لكنها الأصلية (ماركس خير دليل على ذالك) ،والصراعات الاجتماعية والدولة دائما تجد لها طريقا إلى النظرية بشكل خفي غالبا وأحيانا تؤدي إلى شقها إلى نصفين .

خاتمة :

إن التعريف الشامل لمفهوم النظرية يوضح لماذا نحتاج إلى ستة مجموعات من أساليب بناء النظرية ومن الأمور التي تستدعي مناقشتها انه عند إضافة عدد اكبر من العناصر لبناء النظرية فهذا يقربنا من حدود المعرفة و يحقق اختبارات أفضل.

كون النظرية تشتمل على ستة عناصر فهذا يحقق بعض الخصائص الضرورية وهي : **(في مجال اكبر، تركيز أحسن ،دقة في التنبؤ ،جدية في التفسير).**

وهذه المعايير توضح لماذا نختار نظرية ونترك أخرى في حالة كانت النظريتان تشرحان نفس الظاهرة.

مع ذالك فان نفس المعايير توضح لنا أن عملية بناء النظرية عملية مستمرة والنظريات ممكن دائما أن يكون لها مجال أكثر تركيزا و أكثر دقة و أكثر جدية في التفسير، و كلما استمرت عملية بناء النظرية فإننا نقترب من حيز المعرفة الكاملة التي تعني الحقيقة أو على الأقل صورة دقيقة لعناصر الواقع الاجتماعي، لذلك لابد من الاستمرار في بناء وإعادة تشكيل النظريات والتوفيق بينها ،و يتطلب توفر صفة التجريد في المفاهيم المستخدمة في النظرية ،أي لا ترتبط هذه المفاهيم بأي نطاق زماني ومكاني محدد.

لان المفهوم لا يرتبط بأشخاص معينين أو مكان أو زمان معين ورغم أن استخدام مفاهيم محددة في بناء النظرية الاجتماعية يعتبر شوطا حيوا إلا أن هناك مشكلة نواجهها وهي كيفية ربط هذه المفاهيم بواقع الأحداث و بالمستوى التجريبي الذي يعيش فيه الباحث ولحل هذه المشكلة يجب أن يصاحب المفهوم المجرد سلسلة من التعاريف الإجرائية وهي تساعد الباحث على إدراك الظواهر في العالم الحقيقي التي يشير لها المفهوم المجرد .

ومن حيث طبيعة النظرية الاجتماعية ذاتها فلا يجب أن تقتصر على مجرد الوصف بشكل سلبي لما هو قائم بالمجتمع ولكن لا بدّ أن تتضمن بالضرورة توجيهات للممارسة العملية، أي أنها يجب أن تشجع على إحداث التغيرات الاجتماعية و تقدم أساليب للبحث الاجتماعي الهادف إلى التغير ، ولا يجب أن تقنع أبداً بمجرد وصف الأوضاع القائمة بل عليها أن تقدم أساليب عملية لتغيير المجتمع إلى الصورة المثلى التي توصلت إليها من خلال تحليل المجتمعات القائمة ، كما يجب أن لا يجب أن تنفصل عن الممارسة بل يجب أن تشير إلى كيفية تغيير الواقع الاجتماعي أثناء دراسته.

أما بخصوص صعوبة تطبيقها في البحوث فتتلخص في كيفية فهمها و قراءتها ومدى ملاءمتها لمنهج وموضوع الدراسة وهذا يتوقف على وعي وذكاء وإلمام الباحث بمعانيها وجوهرها.

المراجع المعتمدة :

(1)- ا. كانط : جواب على سؤال : ماهو التنوي ؟ ،"في فلسفة التاريخ" ،جونتيي، باريس ، 1965، ص 46-55

(2)- ا. توكفيل : النظام القديم و الثورة ، جاليمار، باريس، 1952.

(3) - ر.ا. نيسبت : التقليد السوسيولوجي، منشورات الجامعة الفرنسية ، باريس، 1984.

(4)- Zetterberg, Handl, On the Theoryand verification in Sociology, Third Englarged EditionT, The becliminster, Press, 1965

(5)- عدلي علي ابو طاحون : في النظريات الاجتماعية المعاصرة ،الطبعة ،الأولى ،المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية، مصر ، ص: 07

(6)- نفس المرجع ،ص: 38.

(7)- نفس المرجع ،ص: 40.

(8)- https://e3arabi.com/?p=821526

(9) - نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع ، ترجمة محمد عودة ، دار المعرف ، القاهرة ، 1972.

(10) - هاينز موس: الفكر الاجتماعي،نظرة تاريخية عالمية ، ترجمة : السيد الحسيني ، جهينة العيسي، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1981.

(11)- Anthony Giddens: Capitalism and Modern Social Theoty, Cambridge, University, Press, 1978. p: 243

(12)- IBD: p: 244

(13)- Alving W. Goulder, The Two Marcxisms (New York.Oxford University. Press.1980. p: 32